المحاضرة الرابعة:
معجم مقاييس اللغة لابن فارس

أ- التعريف بصاحب المعجم:

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن حبيب القزويني الرازي من أئمة اللغة والأدب، اختلف في تاريخ ولدته، إذ يرجّح بعضهم أنّه من مواليد(329هـ- 941م). يقال أنّ أصله من قزوين، وأنّه رحل إلى همذان وأقام بها.

وقد تتلمذ ابن فارس على يد والده فارس بن زكريا الّذي يذكر في مقدمة معجمه أنّه روى عنه كتاب المنطق لابن السكّيت، كما تتلمذ على يد عدد من شيوخ ذلك الزمان منهم أبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب، وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطّان، وأبو عبد الله أحمد بن طاهر النجم الّذي كان أكثر من استرعى انتباه ابن فارس وشدّ إعجابه. أمّا تلاميذ ابن فارس فكثيرون أشهرهم بديع الزمان الهمذاني والصاحب ابن عباد.

وقد رحل ابن فارس في أواخر حياته إلى مدينة الري الّتي أقام بها حتّى وافته المنية كما يُرجّح (395هـ- 1004م). وقد خلّف العديد من المصنّفات أشهرها معجماه (المجمل) و(مقاييس اللغة)، وكتابه(الصاحبي في فقه اللغة)[1].

ب- التعريف بالمعجم:

معجم مقاييس اللغة هو معجم لغوي، وهو من أواخر مؤلّفات ابن فارس، وقد ألّفه بعد (المجمل)، حيث يتجلّى فيه النضج اللغوي الّذي لم نره في (المجمل). ويعني ابن فارس بكلمة المقاييس ما يسمّيه بعض اللغويين (الاشتقاق الكبير) الّذي يرجع مفردات كلّ مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات. قال في كتابه (الصاحبي): "أجمع أهل اللغة إلاّ ما شذّ منهم أنّ للغة العرب قياسا، وأنّ العرب تشتقّ بعض الكلام من بعض، وأنّ اسم الجنّ مشتقّ من الاجتنان"[2].

ت- سبب التأليف:

يذكر ابن فارس في مقدّمة الكتاب السبب الّذي دفعه إلى تأليف الكتاب، حيث يقول: إنّ للغة العرب مقاييسَ صحيحةً، وأصولاً تتفرّع منها فروع، وقد ألّف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول. والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صدرنا كلّ فصل بأصله الذي

---

[1] - وله كتب أخرى مثل (جامع التأويل في تفسير القرآن)، (النيروز)، (الإتباع والمزاوجة)، (الحماسة المحدثة)، (الفصيح)، (متخير الألفاظ)، (ذم الخطأ في الشعر)، (أوجز السير لخير البشر)، و (كتاب الثلاثة).

[2] - ابن فارس: الصاحبي في الفقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تعليق: أحمد حسن بسيج، دار الكتب العلمية، ط1، سنة 1997م، ص36.

يتفرع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يُسْأَل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه"[3].

ث- مصادر المعجم:

اعتمد ابن فارس بناء معجمه على خمسة كتب عظيمة هي: «العين»للخليل بن أحمد الفراهيدي، «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، «مصنف الغريب» لأبي عبيد القاسم بن سلاّم أيضا، «كتاب المنطق» لابن السكيت، «الجمهرة» لابن دريد.

ج- بناء المعجم:

لم يرتّب ابن فارس مواده على أوائل الحروف وتقليباتها كما صنع الخليل وابن دريد[4]، ولم يطّردها على أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهري[5] وابن منظور والفيروز آبادي[6]، ولم ينسّقها على أوائل الحروف كما صنع الزمخشري[7] والفيومي[8]، ولكنه سلك طريقا خاصّا به لم يفطن إليه أحد من العلماء، ولا نبّه عليه.

1- جعل معجمه في فصول توافق عدد حروف الهجاء وسمّى كل فصل كتابا فكتاب الهمزة ثم كتاب الباء ثم كتاب التاء وهكذا فكلمة (بقل) في كتاب الباء، وكلمة (قبل) في كتاب القاف
2- قسّم كلّ كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف، وثانيهما أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية من المجرّد.
3- اتبع ابن فارس في القسمين الأولين طريقة فريدة في ترتيب مواد معجمه، حيث أنّ الحرف الثاني في كلّ كلمة لم يكن يبدأ من أول الحروف الهجائية بل من الحرف التالي لأوّل الكلمة؛ فمثلاً: في باب الجيم يبدأ بكلمة (جح)، وبعدها (جخ)، ثم (جد)، حتّى يصل لكلمة (جو)، ثمّ يعود فيذكر كلمة (جأ)، ثمّ(جب)، ثم (جث). أمّا بالنسبة للكلمات الرباعية والخماسية فقد جاء بالألفاظ المعقود لها الباب فقط دون مراعاة للحرف الثاني.
4- اهتدى ابن فارس إلى أنّ هناك معنى أساسيا، أو أصلا واحدا، أو أكثر أحيانا، مشتركا في جميع معاني المادة الواحدة، وصيغها المختلفة، وقد تنبّه لهذه الفكرة بعد اطلاعه على كتاب العين، لأنّها موجودة فيه في حدود ضيّقة، وسّعها ابن فارس، وجعل منها نظرية عامّة طبّقها بنجاح على مواد كتابه الثنائي والثلاثي، ولم ينجح في تطبيقها على الرباعي والخماسي، حيث رأى أن يعتمد فيه على مبدأ النحت، ذلك أنّ ما زاد على الثلاثة- حسب

---

[3] - ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، سنة 1946م، ص03.
[4] - معجم الجمهرة.
[5] - معجم الصحاح.
[6] - معجم القاموس المحيط.
[7] - معجم أساس البلاغة.
[8] - معجم المصباح المنير.

رأيه- أكثره منحوت وليس أصلا، ومثاله: الضِّبْطَرُ، وهو الشديد، وهي منحوتة من كلمتين، من ضبط وضطر[9].

5- لم يعتمد ابن فارس اطراد القياس في جميع مواد اللغة، بل هو ينبّه على كثير من المواد الّتي لا يطّرد فيها القياس، فيذهب إلى أنّ الكلمات الدالّة على الأصوات، وكثيرا من أسماء البلدان ليس ممّا يجري عليه القياس. ويفطن إلى الإبدال فطنة عجيبة، فلا يجعل للمواد ذات الإبدال معنى قياسيا جديدا، بل يردّها إلى ما أبدلت منه.

ح- خصائص المعجم:

1- التنظيم المحكم عموما لمنهج المعجم، والّذي طرح فيه فكرة التقاليب جانبا لأوّل مرّة.

2- التركيز والإيجاز، فهو يهمل شرح بعض الألفاظ، ويختصر ما يقتبسه من نصوص اللغويين، متجاوزا عن ذكر بعض من يقتبس منهم، ولاسيّما الخليل وابن دريد وابن السكيت اكتفاء منه بإشاراته إلى فضلهم في مقدمة معجمه.

3- تحرّى الألفاظ الصحيحة وتجنب المشوبة منها، ولذلك كان ابن فارس ينصّ على كلّ أصل من أصوله التي يرتضيها بالصّحة وما لا يرتضيه بالضعف أو الشذوذ.

4- العناية بالمجاز واهتمامه بالمعرب والدخيل وعنايته بالكلمات المنحوتة ولاسيّما من الرباعي، بالإضافة إلى تنظيم مادة المعجم.

خ- المآخذ على المعجم:

على الرغم من الدقة التي امتاز بها كتاب المقاييس عن غيره من المعاجم اللغوية الأخرى فقد تعرض لبعض المآخذ التي يمكن إجمالها فيما يلي:

1- الاختصار الشديد في بعض الأحيان مما أدى إلى ترك إكمال الحديث النبوي، والبيت الشعري، حيث يقتصر على ذكر موضع الشاهد فحسب.

2- لم يسر على نظام ثابت في رسم المعتل، كما في (حنو) و(عصوى) و(رثى).

3- لم يسر على طريقة واحدة فيما عده خارجاً عن الأصول، فقد أخرج- مثلاً- حكاية الأصوات في كثير من المواد، لكنه جعله في بعض المواد أصلاً كما في مادة (بل).

4- وُلُوعه بالقلب والإبدال ولوعاً قد يصل إلى التعسف، وقد يجمع بينهما في كلمة واحدة كما في (قاب).

5- الاضطراب في شرحه لبعض الألفاظ، ومن ذلك أن قد يفسر كُلاً من الضدين بأنه خلاف الآخر كما في (خبث) و(طيب) وكما في (حسن) و(قبح) وكذا في (حمد) و(ذم).

6- تداخل الكلمات في أكثر من مادة كما في كلمة (الدكان) حيث ذكر أنها من مادة (دك) ثم ذكرها مرة أخرى في (دكن) ولم يشر إلى أن هناك خلافاً.

---

[9] - وفي هذا الشأن يقول: "اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق، ذلك إن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة واحدة تكون آخذة منهما جميعا بحظ"؛ ويبدوا أن الشذرات القليلة التي بثها الخليل في عينه حول هذه الظاهرة هي التي لفتت انتباه ابن فارس؛ وإلى هذا أشار في مقاييسه عندما قال عن النحت " والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل إذا قال حي على". ينظر: مقاييس في اللغة، الجزء الأول، ص329.

د- **طبعه وتحقيقه:** صدر معجم مقاييس اللغة سنة 1946 في القاهرة في 6 أجزاء بتحقيق عبد السلام هارون.

ذ- **أهمية الكتاب:**

قال عنه ياقوت الحموي: كتاب جليل لم يصنف مثله. وقال عنه الأستاذ عبدالسلام هارون: "فإنَّ كِتَابَنا هذا لا يختلف اثنان بعد النظر فيه أنّه فذّ في بابه، وأنّه مفخرة من مفاخر التأليف العربي، ولا إخال لغةً في العالم ظفرت بمثل هذا الضرب من التأليف". وقال في موضع آخر عن الكتاب:مفخرة من مفاخر التأليف العربي، بل يكاد يكون الفذَّ من نوعه من بين المؤلفات اللغوية في المحيط العربي، إن لم يكن المحيط اللغوي العالمي؛ فنحن لم نعلم إلى الآن أن مؤلفاً لغوياً آخر حاول أن يدرس مواد اللغة في ظل القياس المطرد في تلك المواد.